موقف الحفصيين من الغزو الصليبي
على بلاد المغرب العربي

د. لمياء عزالدين مصطفى الصباغ
مدرس / قسم التاريخ

المقدمة

البحث دراسة سياسية لموقف الحفصيين من الغزو الصليبي على بلاد المغرب العربي للفترة بين ٦٢٥ - ٦٦٨هـ / ١٢٢٨ - ١٢٧٠م التي شهدت فيها الحملة الصليبية الثامنة على تونس التي كان يقودها لويس التاسع ، وكان مسرحها شواطىء قرطاجنة ، وكانت ترمي الى احتلال تونس ، العاصمة الحفصية ، وقد منيت بالفشل الذريع لما وجدته من مقاومة شعبية عنيفة.

تحتل الحملة الصليبية الثامنة على تونس مكانة مهمة في تاريخ الحروب الصليبية اذا انها كانت الاخيرة التي انهت الوجود الاستعماري في الارض العربية ، وتلقى فيها الصليبيون درساً لاينسى ، اذ فقدوا فيها ملكهم لويس التاسع منظم الحملة وكثيرين من الاعيان ، ومنوا بخسائر فادحة لما جابهوه من مقاومة شعبية عنيفة مستمرة وللحصار الذي ضُرِبَ عليهم حتى اصيبوا بالمجاعة والعطش والاوبئة.

والبحث يقوم على مدخل واربع فقرات رئيسة هي :

- استعداد لويس للحملة.
- استعداد المستنصر بالله للمواجهة.
- الصدام بين الطرفين.
- المعارك.

ينسب بنو حفص الى الشيخ ابي حفص يحيى بن عمرو الهنتاني من هنتانة احدى اكبر قبائل مصمودة ، وكان لأبي حفص مكانة رفيعة في الدولة الموحدية وظلت تلك المكانة ماثلة في اولاده من بعده إذ تولوا عدة مناصب في المغرب والاندلس ، واعتمد عليهم الموحدون في الكثير من الامور.

ويعود قيام دولة الحفصيين الى ابي زكريا يحيى الحفصي الذي استقل بإمارة افريقية وماجاورها سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م وهو بذلك يعد المؤسس الحقيقي لدولة الحفصيين بتونس[1].

وفي عهد ابي زكريا استقبلت تونس وغيرها اعداداً كبيرة من المهاجرين الاندلسيين ، وقد أثّر هؤلاء المهاجرون تأثيراً كبيراً في الحياة العامة للحفصيين وبلغ ذلك التأثير ذروته على عهد

خليفة ابي زكريا ولده السلطان ابو عبدالله محمد المستنصر بالله ، وفي عهد هذا السلطان توطدت العلاقات التجارية بين تونس وبرشلونة ومرسليا وجنوه وبيزا وصقلية والبندقية[٢] .

عاصر الحفصيون من حكام فرنسا لويس التاسع الملقب بالقديس ، والمعروف عنه استعداده لحملة صليبية كانت تستهدف مصر ، فقد ذكر انه استعد لهذه الحملة مدة ثلاث سنوات وبدأ حملته سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م ونزلت قواته دمياط[٣] .

ولاشك ان ثبات وعزيمة المقاتلين المسلمين في شمال شرق الدلتا قد أنهك قوى العدو إنهاكاً تاماً ، واضطر بعدها الاعداء الى التسليم ووقع لويس التاسع في الأسر في المحرم سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م[٤] ووضعت القيود في يديه ورجليه في دار فخر الدين بن لقمان وعهد الى الطواشي صبيح بحراسته وفيها انشد جمال الدين بن مطروح[٥] (٥٩٢- ٦٤٩هـ/ ١١٩٦- ١٢٥١م)يحذره من الرجوع الى مصر.

قل للفرنسيس اذا جئته ... مقال نصح من قؤول فصيح
أجرك الله على ماجرى ... من قتل عباد نصارى المسيح
أتيت مِصْراً تبتغي ملكها ... تحسب ان الزمر بالطبل ريح[٦]

وقد ذهب المؤرخون في اسباب حملة لويس التاسع على تونس مذاهب شتى ، فاجتهدوا وعولوا وأتوا بالكثير من الاسباب القريبة والبعيدة.

فأبن خلدون يعزو سبب الحملة الى حماية تجار الافرنج بعد أن فقدوا الكثير من الاموال نتيجة سياسة السلطان الحفصي فيقول : «انهم اقرضوا اللحياني فلما نكبه السلطان طالبوه بذلك المال ، وهو نحو ثلثمائة دينار بغير موجب يستندون اليه فغضبوا لذلك واشتكوا الى طاغيتهم فامتعض لهم ورغبوه في غزو تونس»[٧] .

ويسرد اليونيني رواية طويلة لاتخلو من وهن واضطراب يقتضي ايرادها «ان تجاراً منهم قصدوها [اي قصدوا تونس] فألزموا على تجارتهم حقوقاً فضربوا دراهم مغشوشة على سكة صاحب تونس ، واخرجوها في الحقوق الموجبة عليهم وظن العمال ان الامير يقوم بضربها فأخذوها ثم فحصوها فوجدوها ضرب خارج الدار ، فسأل عن اكثر الفرنج مالاً فقيل له اهل جنوة ، فأمر باستئصال اموالهم في سائر بلاده وحبسهم فاستصرخ اهل جنوة يريد افرنسيس»[٨].

وعلل البعض من الباحثين اسباب تلك الحملة بعلل كثيرة فويست انتوني يذهب بالقول ان لويس التاسع اعتقد انه يستطيع استبدال انطاكية بتونس اذا ما استولى عليها..[٩]

وبرونشفيك يعزو اسباب الحملة بجملة آراء بقوله : «بأن السبب الذي يبدو مطابقاً اكثر للنظريات القروسطية ولآراء لويس التاسع الخاصة يتمثل بالعكس من ذلك في الغرض

الديني المزدوج الذي لاشك انه قد دفع بملك فرنسا نحو شواطىء افريقية ، يضيف بقوله اعني الاعتقاد بأن الاحتلال المسبق لافريقية سيسهل عملية مقاومة المماليك في مصر وسوريا ، وسيبقى هذا الاعتقاد راسخاً في كثير من الاذهان حتى بعد الفشل الذريع الذي منيت به تلك المحاولة – ثم على وجه الخصوص الامل – الذي يبدو نظرياً خيالياً في تنصير المستنصر ، ولادراك معنى مثل ذلك الوهم – ينبغي ان لايفوتنا ما كان يتميز به الملك من عقيدة راسخة وما بذله من جهود في السابق لتنصير الامراء المغوليين ، وما كان للمبشرين المحترفين من تأثير على ضميره كالفرنسيسكيين والدومانيكيين الذين كانوا يعملون بحماس في المملكة الحفصية ، وقد كان عدد كبير منهم من بين الصليبيين ، وسواء كانوا يتعللون بوعد المستنصر الخداع ام لا فلابد انهم قد رسخوا في ذهن ملك فرنسا منذ السنة السابقة فكرة احتمال تحقيق ذلك التنصير المثير للاحساس ، كما سيعتقد بعد ذلك التاريخ بحوالي نصف قرن ، احد ملوك ارجوانة في اعتناق احد الحفصيين الجالس على العرش ، للديانة المسيحية بصورة سرية ، فهؤلاء المبشرون الذين خدعهم او اعماهم شغفهم بالدعاية الدينية ، هم المتسببون الحقيقيون حسب الاحتمال في تحويل وجهة الصليبية نحو البلاد التونسية»[١٠] .

ولخص راغب حامد في رسالته الحروب الصليبية بدايات الاستعمار الاوربي ، في «سبب اختيار لويس لتونس لمحاولة ضرب العناصر المناوئة له ، والتي اتخذت من تونس ملجأ لها ، ولتحقيق مكاسب اقتصادية باخضاعه الحفصيين للجزية التي اعتادوا دفعها الى عائلة هوهنشتاوفن.

وان لويس اقتنع بامكانه اتخاذ تونس للضغط على مصر ، وكذلك للخطر الذي تشكله البحرية التونسية في حالة مضايقتها للمنافذ البحرية في صقلية اضافة الى تزويد تونس المماليك بالامدادات العسكرية»[١١] .

وسواء صحت هذه الاسباب او لم تصح فانها بمجموعها كانت من بواعث الحملة الفرنسية على تونس على انه يجب ان لايغيب عنا الرغبة في التوسع والسيطرة على سواحل المغرب حيث ماحانت الفرصة لذلك وهي رغبة وهدف طالما سعت اليه دول اوربا منذ قرون سابقة لهذا العهد وتنبه له العرب في المغرب منذ بداية الفتح ولاجل ذلك ظلت اساطيل المغرب على توالي الدول القائمة به تسير الحملات باتجاه القواعد الاساسية للقوات البيزنطية او غيرها في جزر البحر المتوسط ، صقلية وسردينيا وكورسيكا ، وعندما تعطلت هذه الفعاليات تحولت هذه الجزر قواعد انطلقت منها الحملات المواجهة صوب سواحل المغرب ، وقد أشار ابن الاثير الى ذلك صراحة بقوله : «...ثم قصدوا سنة ٤٨٤هـ جزيرة صقلية وملكوها ، وتطرقوا اطراف افريقيا فملكوا منها شيئاً ، واخذ منهم ثم ملكوا غيره»[١٢] .

من هذه الاشارة يظهر طمع القوات الفرنسية وغيرها في سواحل المغرب ومدنه الذي اخذ شكله التوسعي الصليبي مع ازدياد هذه الهجمة على الاندلس وضعف الدول القائمة في بلاد المغرب وانشغالها في أحيان كثيرة بأمور داخلية فلا غرابة ان تكون تونس وغيرها هدفاً من اهداف الملك لويس التاسع وهي بالنسبة لهم تعد ظهيراً وجناحاً يتطلب تأمينه لتنساب قواتهم آمنة باتجاه المشرق حيث تتجمع القوات الصليبية حاملة معها اهدافاً كثيرة.

استعداد لويس للحملة

استعد لويس التاسع لهذه الحملة استعداداً عالياً وآزره في ذلك البابا كليمون الرابع الذي استصرخ ملوك كل من انكلترا واسبانيا وبولونيا والمانيا والقسطنطينية وأرمينيا وغيرهم يعلمهم بهذه الحملة ويحثهم على المشاركة فيها[١٣].

وأجاز لنفسه بناء على هذا الظرف التزود بما يشاء من أموال الكنيسة[١٤] ولهذا خصص عشر مداخيل الكنيسة لتجهيز هذه الحملة، فضلاً عن فرض الهبات والعطايا المختلفة على أعيان المدن والقرى لنفس الغرض.

بدأ الاعداد الفعلي للحملة اوائل سنة ٦٦٨هـ/١٢٧٠م ولم تغادر السفن المقلة للمقاتلين ميناء اكو اوايق مورث Aigues–Mortes الا في تموز. تجمع الغزاة في ميناء ايق مورث محدثين اضطرابات وقد جاؤوا من كل فج عميق من فرنسا وغيرها[٥].

اما عدد المشاركين في هذه الحملة فيذكر ابن خلدون انهم زهاء ثلاثين ألفاً من الرجالة وستة آلاف فارس موزعين في ثلاثمائة سفينة بين كبيرة وصغيرة تحت إمرة سبعة يعاسيب[١٦].

وقد أشار ابن قنفذ القسنطيني في كتابه(الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية)الى حجم هذه الحملة بقوله: «وكانت في ايام المستنصر حوادث عظام منها في سنة ٦٦٨ نزول النصارى بتونس بسبعة من الملوك وبكثرة من العدد والعدة والخيل والاخبية وذلك من صلاة الظهر من يوم الخميس ٢٦ من ذي الحجة»[١٧].

وقال صاحب الادلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية: «وكان نزوله على تونس في يوم الخميس السادس والعشرين لذي الحجة سنة ثمان وستين وستمائة بجموع وافرة فرساناً ورجالاً ورماة ومددهم متصل كل يوم بالرجال والاقوات والعدة»[١٨].

اما المشاركون فيها فضلاً عن لويس التاسع منهم أبناؤه الثلاثة فيليب وبيار وجان تريستان– واخوه الفونس كونت دي بوايتي وتولوز وابنته ايزابيلا وصهره تيبو نافار وكونت دي شمبانيا والكردينال سفير الباب رودولف البانو، وعدد من كونتات بريطانية والاووفلاندر واللوكسمبور[١٩].

استعداد المستنصر بالله للمواجهة

واذا كان استعداد الملك لويس التاسع كبيراً فان السلطان محمد المستنصر الحفصي كان اكثر استعداداً لمواجهة هذه الحملة ، فقد عرف عن المستنصر قوته وحسن تدبيره لسياسة الدولة ، وعاصر احداثاً داخلية هددت دولته وتمكن من تجاوزها باقتدار عالٍ فقد أخمد ثورة عمه ابو عبدالله اللحياني وأجهض ثورة أخيه من بعده سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م[٢٠] وطوع قبيلة رياح ومن والاها سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨ م[٢١] . وارسى اركان دولة قوية مرهوبة الجانب واذا كان المستنصر لم يفاجأ بخبر حملة لويس التاسع فان الحفصيين وغيرهم كانوا على علم بأهداف سياسة هذه الدول تجاه المغرب ومدنه لذلك كانت استعدادات المستنصر كبيرة فهو من ناحية عمل على تعبئة الرأي العام والدعوة الى الجهاد في سبيل الله وضرورة التصدي لاعداء الله ومن ثم عمد الى تحصين مدينة تونس وترميم مايحتاج الى ترميم من حصونها فضلاً عن اصلاح بعض الاسوار والدفاعات[٢٢] .

ولم ينفرد المستنصر برأي دون الآخرين في خطط مواجهة العدو بل تعد مجلسه العسكري الذي كان يضم فضلاً عن كبار القادة في دولته وجهاء الاندلس المهاجرين الى تونس والموحدين في المغرب الاقصى واصحاب الرأي من اهل الدولة الحفصية[٢٣] .

تداول هذا المجلس الكيفية التي يتم بها ردع قوة الاعداء وقلبوا كل الاحتمالات فعلىٰ في المجلس رأيان ، رأي يقول بمقاومة ومقاتلة الغزاة في البحر دون السماح لهم بالوصول الى بر الساحل ورأي آخر يرى السماح لهم بالنزول ومن ثم مهاجمتهم براً حتى يتحقق النصر ، وتعلل اصحاب الرأي الاول بأن الثبات لهم من دون منحهم فرصة للنزول الى البر قد يجبرهم على الانسحاب والتراجع لنفاد ذخيرتهم وزادهم ومؤنتهم[٢٤] ، ولكن مثل هذا الامر قد يعطي الاعداء فرصة لضرب مدن وسواحل اخرى فيتمكنوا منها دون ان تنال منهم القوات الحفصية مقتلاً ، وبذلك يصعب اجلاؤهم وردهم عندما يتمكنون من النزول الى البر.

وهكذا رجح السلطان الحفصي الخطة القائلة بمقاتلة الاعداء عند نزولهم بر الساحل ووضع الخطط اللازمة لذلك.

وبالرغم من كل هذه الاستعدادات فان السلطان الحفصي حاول رد قوات لويس بالسياسة والاغراء ، فالمصادر تشير بهذا الصدد الى ان المستنصر قد بعث رسوله الى لويس «لاختبار حاله ومشارطته على مايكشف عزمه وحملوا ثمانين الفاً من الذهب لاتمام شروطهم فيما زعموا فأخذ المال من ايديهم واخبرهم ان غزوه ارضهم فلما طلبوا المال اعتل عليهم بانه لم يباشر قبضه»[٢٥] .

وعندما فشلت هذه المحاولة امر المستنصر بردم كافة آبار المياه القريبة من تونس وما جاور المنطقة ليمنع قوات لويس من التزود بالمياه وبدأ الاستعداد للمواجهة[٢٦].

وعلى كل حال لم يكن هذا الموقف والرفض بخافٍ عن المستنصر بالله فنجح اولاً في عرض المسألة لكنه جوبه بالرفض، وبدأ بالمواجهة وتنظيم جيشه وتعبئته تعبئة عسكرية موحدة، وكان الجيش الحفصي محل عناية خاصة، وكان متنوعاً وافر العدد، وعتيداً قوياً، «ضرورة انه مكلف بالسهر على أمن الامير ومنوط بعهدته السهر على أمن البلاد»[٢٧].

وقوات الحفصيين في المعركة كانت معبأة على اساس تقسيمها الى قسمين الاول الجند السلطاني. وهم حرس السلطان الحفصي، ويتكون من فرقة للفرسان عناصرها من سكان تونس ومن عرف باخلاصه للسلطان الحفصي، ومن المهاجرين الاندلسيين اهل الخبرة ومن عناصر اخرى سودانية وتركية[٢٨].

واما القسم الثاني فيتكون من عموم فرق الفرسان والمشاة ومادته من قبائل المغرب المختلفة.

واما عدتهم من السلاح فهي السيوف والرماح والنبال والخناجر والصفائح والدبابيس[٢٩] والسهام والقسيّ والمجانيق استعملوها خاصة في الهجوم، واستخدمت عند حصار المهدية[٣٠] سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م «اذ كانت كل واحدة منها ترمي قذائف من الحجارة والكور الحديدية فتسقط المدينة»[٣١].

ولوحظ في هذه المعركة استعمال المسلمين لآلات تقذف الرمال الرقيقة المحرقة في الوجوه فتصيب فيها الغزاة الويلات الشديدة»[٣٢].

الصدام بين الطرفين

وعلى كل حال فقد استنفر المستنصرُ الناسَ ودعاهم الى الجهاد واعدالعدة ونظّم قواته وأمر ولديه بالاستعداد للخروج للقتال وبدأت الامدادات بالوصول اليه من المشرق والمغرب، خاصة من الاندلسيين المهاجرين الى تونس، والامدادات من هلال صاحب بجاية[٣٣].

فضلاً عن الامدادات التي ارسلها الملك الظاهر بيبرس من عرب برقة والغرب[٣٤]، وتحتل القبائل المستوطنة بين طرابلس وتونس مكانة مرموقة في الجيش الحفصي، وابناء قبيلة مرنجيه، وقبائل هواره المستقرة في مرتفعات تونس الوسطى[٣٥]، وامدادات من ملوك المغرب الزناتيين وقبائلها ولهاصة وهوارة وسدويكش[٣٦]، وامدّه محمد بن عبدالقوي بعسكر بني توجين لنظر ابنه زيان.

وعقد المستنصر القيادة لسبعة من كبار قادة الموحدين للاشراف على اعداد الجيش والمتطوعة والمرتزقة، وهم اسماعيل بن ابي كلداش، وعيسى بن داود، ويحيى بن ابي بكر،

ويحيى بن صالح ، وابو هلال عباد صاحب بجاية ، ومحمد بن عبو ، وجعل قيادة الحملة بيد يحيى بن صالح ، ويحيى بن ابي بكر[٣٧] مقابل الجيوش السبعة الصليبية التي يقودها سبعة من ملوك الفرنج[٣٨] ، وقد اجتمع وحشد عدداً لايحصى من القوة والعدد والعدة «وخرج الصلحاء والفقهاء والمرابطون لمباشرة الجهاد بأنفسهم»[٣٩] وللاشراف على سير العمليات العسكرية ، وتنظيم الجيش والدعوة الى الجهاد في سبيل الله واعتزازاً لدينه.

فضلاً عن كل ماتقدم يجب الاشارة الى ان ملك اراجون خايمي الاول قد أرسل عدداً من مستشاريه العسكريين الذين ساهموا مع كل فريدريك القشتالي وفريدريك لانشيا في المشاركة بالرأي في كيفية قتال الصليبيين للمسلمين ، وظل هؤلاء في خيمة المستنصر»[٤٠] وهم «مع بطانته واهل اختصاصه وهو الشيخ ابو سعيد المعروف بالعود وابن ابي الحسين وقاضيه ابو القاسم بن البراء وأخو العيش»[٤١] طوال فترة المعارك والحصار.

واستعد الجميع للمواجهة مع العدو عند وصوله الى البلاد ، وكان مكان تجمعهم عند رادس الضاحية الجنوبية لتونس وعددهم زهاء أربعة آلاف فارس ، وكان يقودهم محمد بن أبي الحسين الاندلسي[٤٢] رئيس الدولة[٤٣] وهكذا أصدر المستنصر اوامر للقادة بالهجوم على العدو في معارك استنزاف دون المواجهة الحاسمة.

المعارك

نزلت قوات لويس التاسع وحلفاؤه الصليبيون في ١٧ تموز ٦٦٨هـ/١٢٧٠م الى ساحل تونس عند قرطاجنة ، وحالما وصلوا ارسل لويس التاسع طلائعه في البر للاستكشاف ، فوجدوا المكان خالياً «فأنزلوا عساكرهم في المدينة القديمة في قرطاجنة ، وكانت مائلة الجدران اضطرم المعسكر بداخلها ووصلوا الى مافصله الخراب من اسوارها بألواح الخشب ونضدوا شرفاتها واداروا على السور خندقاً بعيد المهوى وتحصنوا»[٤٤] ، واخذ المستنصر يتحين الفرصة للانقضاض والاجهاز عليهم.

وعندما حان الوقت بدأ المستنصر بالهجوم مقدماً مجموعة من الفدائيين العرب وبعض الجاميع السودانية ، والظاهر انهم استخدموا اسلوب الهجوم الصاعق ثم الانسحاب بعد ان يؤدوا مهامهم حتى اصابوا من قوات الاعداء اصابات كبيرة في الرجال والمؤن[٤٥] . تبعها ضربات متواصلة من مجانيق كانت مملوءة بالرمال الساخنة نصبها الحفصيون لتشتيت تجمعات الاعداء فكان لضربات المجانيق اثر كبير في احداث الخلل بقوات الاعداء مع مساعدة الريح التي كانت تعصف بالرمل في وجوههم وتذرها في عيونهم»[٤٦] .

ووجد لويس التاسع نفسه في مأزق حرج فلم يحرك ساكناً للدخول في معركة فاصلة بعد ان اصابت هجمات الفدائيين وحرارة الشمس وشحة المياه الصالحة للشرب قواته بالارهاق

الشديد فأرسل الى اخيه شارل يستعجله لنجدته ، وان شارل ارسل الى اخيه لويس رسالة وصلت إليه يوم الخميس ١٤ تموز ٣ من ذي الحجة من السنة نفسها يطلب من اخيه لويس التريث في مقاتلة المسلمين ويعده بالوصول والمدد في وقت قصير ، ولكن رسالة اخرى وصلت مقر لويس التاسع في يوم ٨ من ذي الحجة تحمل خبراً مفاده اعتذار شارل عن القدوم دون معرفة الاسباب[٤٨] .

وعلى الرغم من علو كفة الحفصيين عاود السلطان المستنصر بالله ارسال احد الرسل الى لويس يطلب منه المغادرة والاجلاء عن المغرب ولكن الاخير كان معتداً بقواته وقدراته فرفض عرض المستنصر واخذ يستعد لشن هجماته على قوات الحفصيين[٤٩] .

وفي يوم الاربعاء الموافق ٣٠ من تموز / ٩ من ذي الحجة وقعت بين الطرفين معركة شديدة تكبد فيها لويس وقواته الكثير من الخسائر دون ان يتمكن من الوصول الى اي هدف من الاهداف[٥٠] ، هذا فضلاً عن تفشي وباء الحمى بين قواته فهلك من هلك وكان من جملة هؤلاء[٥١] كونتان واعيان عديدون منهم نجله وصاحب نابلوه وابن صاحب قشتالة بن الفنش ، وسرعان مالحق بهم ملكهم لويس التاسع [٥٢] .

وفي منتصف محرم من سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م تقابل الفريقان وتكبدوا خسائر فادحة في الارواح وقتل من الصليبيين زهاء خمسمائة[٥٣] .

وبعد موته بيومين في يوم ٦٦٩/٢٤م المصادف يوم الاربعاء ١٢٧٠م وصلت سفينة شارل دانجو محملة بالمؤونة ، وكم كانت خيبته حينما رأى الوضع المتردي في قرطاجنة ، وشعر بالمأزق الذي وقع فيه أخيه ، وفي هذه الاثناء وصل عدد من المسلمين وهم عيون وجواسيس من المستنصر بالله في خدعة يريدون التنصر ولقد احسن استقبالهم ولكنهم على حين غفلة اخذوا يلفظون رماحهم كالصقور وينقضون على الصليبيين الذين ذعروا فقتل حوالي ٦٠ رجلاً وفرّ منهم من فرّ، وعاد المسلمون جميعهم الى معسكراتهم منتصرين سالمين.

ويذكر ابن خلدون بعض الوقائع الحربية التي أصاب فيها المسلمون (ثغرة) في العدو فظفروا وغنموا حينما سلكوا طريقاً في البحيرة .[٥٥]

ومن الجدير بالذكر فقد تعددت الروايات في وفاة لويس ففي رواية ابن خلدون يشير بقوله «وان السلطان بعث اليه مع ابن جرام الدلاصي بسيف مسموم وكان فيه مهلكه»[٥٦] اما الصفدي فيذكر وفاته من جراء الوباء الذي اصاب العسكر[٥٧] .

وعلى كل حال فقد كانت هذه الحملة من الحملات التي اصابت الصليبيين في الصميم ، فقد أذلت ملكهم لويس التاسع واخمدت مقاومتهم ، وقضت على كل نفوذهم التوسعي في بلاد المغرب العربي والمشرق ، فضلاً عن افشال مخطط لَلّ في عبور الصليبيين الى تونس.

المصادر والمراجع

المصادر

ابن الاثير، عزالدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

١- الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت ١٩٦٥.

ابن أياس، محمد بن احمد الحنفي المصري (ت ٩٣٠هـ/١٢٦٢م).

٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور (بولاق: ١٣١١هـ).

ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م).

٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة ١٩٦٣).

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الخضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

٤- العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، منشورات الاعلمي للمطبوعات، ١٩٧١.

ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢).

٥- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس بيروت: دار الثقافة، دون تاريخ.

ابن ابي الدينار، ابو عبدالله محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني (ت١٠٩٢هـ/١٦٨١).

٦. المؤنس في اخبار أفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام تونس: ١٩٦٧.

ابن الشماع، ابو عبدالله محمد بن احمد بن الشماع.

٧- الادلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية.

تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، دار العربية للكتاب: ١٩٨٤.

ابن ابي الضياف، احمد بن ابي الضياف.

٨- اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الزمان.

تونس ١٩٦٣.

ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢).

٩- المختصر في اخبار البشر (القاهرة: ١٣٢٥).

إبن قنفذ القسنطيني.

١٠- الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النفير، وعبدالمجيد التركي، الدار التونسية للنشر تونس: ١٩٦٨.

١١ – الوفيات.
المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤٣م).
١٢ – السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق مصطفى زيادة القاهرة ١٩٣٦.
١٣ – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة: ١٢٧٠.
ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ / ١٣١١م).
١٤ – لسان العرب، طبعة بولاق، القاهرة / الدار المصرية.
اليونيني
١٤ – ذيل مرآة الزمان، الطبعة الاولى، الدكن حيدر آباد ١٩٥٤.

المراجع

برونشفيك، روبار
١٥ – تاريخ افريقية في العهد الحفصي، نقله الى العربية، حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان / ١٩٨٨، الطبعة الاولى.
حقي، احسان
١٦ – تونس عربية، دار الثقافة المكتبة المغربية، دون تاريخ.
راغب حامد عبدالله
١٧ – الحروب الصليبية، بدايات الاستعمار الاوربي – رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة. مقدمة الى جامعة الموصل / ١٩٨٣.
رنسيمان، ستيفن
١٨ – تاريخ الحروب الصليبية، نقله الى العربية، الباز العريني – بيروت: ١٩٦٩
سالم، عبدالعزيز
١٩ – المغرب الكبير، العصر الاسلامي، دراسة تاريخية عمرانية، وأثرية اسكندرية ١٩٦٦.
عاشور، سعيد عبدالفتاح
٢٠ – اضواء جديدة على الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٦٤.
٢١ – الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى القاهرة: ١٩٧١.
ابن عامر، احمد

٢٢ – الدولة الحفصية ، دار الكتب الشرقية ، تونس ١٩٧٤ .

عبدالوهاب ، حسن حسني
٢٣ – تاريخ تونس ، تونس : ١٩٧٦ .

عمران ، محمود سعيد
٢٤ – معالم اوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٢ .

الكناني ، مصطفى حسن محمد
٢٥ – حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ .

مطوي ، محمد العروسي
٢٦ – الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، تونس : ١٩٨٢ .

ارولد ، لامب.
٢٧ – شعلة الاسلام ، ترجمة محمود عبدالله ، بغداد ، ١٩٦٧ .

يست ، انتوني
٢٨ – الحروب الصليبية ، ترجمة شكري محمود نديم بغداد : ١٩٦٧.

يوسف جوزيف نسيم
٢٩ – العدوان الصليبي على مصر، هزيمة لويس التاسع في المنصورة ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ .

هوامش البحث

(١) سالم، المغرب الكبير، ج٢/٨٧٥.

(٢) المرجع نفسه، ج٢/٨٧٨؛ الكتاني، حملة لويس التاسع الصليبية، ص٨٨ وما بعدها ومصادره؛ برونشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ص٥٤- ٨.

(٣) ابو الفداء، المختصر، ج٣/١٧٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦/٣٢٩- ٣٣٠.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١/٧٩؛ المقريزي، السلوك، ص٣٦٤- ٣٦٥؛ والمواعظ، ص٢٢٣؛ عاشور، الحركة الصليبية. ج٢/١٠٥٣ و١٠٦١- ١٠٧٤؛ عمران، معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى، ص٢٢٧؛ يوسف، العدوان الصليبي على مصر، ص١٢٢- ١٣٢.

(٥) ابو الحسن يحيى بن عيسى بن ابراهيم بن الحسين بن مطروح الملقب جمال الدين من اهل صعيد مصر نشأ هناك وأقام بقوص مدة، ولد باسيوط سنة ٥٩٢هـ وتوفي في مستهل شعبان ٦٤٩هـ بمصر ودفن بسفح الجبل المقطم. ينظر ابن خلكان، وفيات الاعيان- ج٦/٢٥٨.

(٦) ابن خلدون، العبر، ج٦/٢٩٢، المقريزي، المواعظ، ج١/٢٢٣؛ وينظر، يوسف، العدوان الصليبي على مصر، ص٢٦٥.

(٧) العبر، ج٦/٢٩١.

(٨) ذيل مرآة الزمان، ج٢/٤٥٤- ٤٥٥.

(٩) الحروب الصليبية، ص١٦١.

(١٠) تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ج١/٨٨- ٨٩.

(١١) ص١٧٠ ومصادرها.

(١٢) الكامل في التاريخ، ج١٠/٧٣، ينظر سنة ٤٩١؛ المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص١٨.

(١٣) الكتاني، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، ص١٧٠ وما بعدها.

(١٤) المقريزي، السلوك، ج٢/٣٦٤؛ الكتاني، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، ص١٧١.

(١٥) الكتاني، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، ص١٧٢.

(١٦) العبر، ج٦/٢٩٢؛ ويماسيب، ومفردها يعسب، واليعسوب ذكر النحل وأميرها ثم كبر ذلك حتى سموا كل رئيس يعسوباً، ويقال هو يعسوب قائد اي رئيسهم اوكبيرهم ومقدمهم (السيد والرئيس والمقدم) وجمعها يعاسب. ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج١/٨٩.

(١٧) ص ١٣٠- ١٣١.

(١٨) ابن الشماع، ص٦٧.

١٩ برونشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي- ص٨٧.

(٢٠) ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص١١٧ و١١٨؛ ابن ابي الدينار، المؤنس، ص١٣٥.

(٢١) ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص١٢٩.

(٢٢) ابن خلدون، العبر، ج٦/٢٩٢؛ عاشور، اضواء جديدة على الحروب الصليبية. ص٦٩.

(٢٣) ابن خلدون، العبر، ج٦/٢٩٢؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢/٤٥٥.

(٢٤) ابن الشماع، الادلة البينية النورانية، ص٦٦.

(٢٥) ابن خلدون، العبر، ج٦/٢٩١؛ المقريزي، السلوك، ج١/٣٦٥.

(٢٦) الكتاني، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، ص٢٠٨ ومصادره.

(٢٧) ابن عامر، الدولة الحفصية، ص٣٧.

(٢٨) ابن الشماع، الدولة البينية النورانية، ص٦٦- ٦٧؛ ابن عامر، الدول الحفصية، ص٣٨ و ٣٩؛ برونشفيك، ج٢/ ٧٥- ٧٧، وعن هؤلاء الاتراك اورد ابن الشماع قائلاً بأن «لويس هو الذي اسره هؤلاء فأطلقوه».

(٢٩) ابن ابي الدينار، المؤنس، ص٣٠٠.

(٣٠) برونشفيك، تاريخ افريقيا في العهد الحفصي. ج٢/٨٤- ٨٥.

(٣١) ابن عامر، الدولة الحفصية، ص٣٨.
(٣٢) الكتاني، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، ص٢١٩ ومصادره.
(٣٣) ابن خلدون، العبر، ج٦/٢٩٣.
(٣٤) المقريزي، الملوك، ج١/٧٩٠.
(٣٥) برونشفيك، تاريخ افريقية في عهد الدولة الحفصية، ص٧٦.
(٣٦) ابن خلدون، العبر، ج٦/٢٩٣؛ برونشفيك، تاريخ افريقية في عهد الدولة الحفصية، ص٧٦.
(٣٧) ابن خلدون، العبر، ج٦/٢٩٣؛ الكتاني، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس. ص٢٠٨.
(٣٨) ابن خلدون، العبر، ج٦/٢٩٢.
(٣٩) المصدر نفسه، ج٦/٢٩٣.
(٤٠) الكتاني، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، ص٢٠٩.
(٤١) ابن خلدون، العبر، ج٦/٢٩٣.
(٤٢) كان احد رجالات الدنيا دهاءاً وذكاءاً ومعرفة، ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ١٣٢ – ١٣٣.
(٤٣) ابن خلدون، العبر، ج٦/٢٩٢.
(٤٤) ابن خلدون، العبر، ج٦/٢٩٣؛ الكتاني، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، ص٢١٠.
(٤٥) ابن خلدون، العبر، ج٦/٢٩٤؛ الكتاني، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، ص٢١٠.
(٤٦) ابن خلدون، العبر، ج٦/٢٩٣؛ الكتاني، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، ص٢٠٨.
(٤٧) ابن خلدون، العبر، ج٦/٣٩٤؛ الكتاني حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، ص٢٠٨ ومصادره.
(٤٨) الكتاني، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، ص٢١١ و ٢١٢.
(٤٩) الكتاني، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس، ص١٩٨.
(٥٠) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢/٤٥٥.
(٥١) ابن ابي الضياف، اتحاف اهل الزمان، ص١٦٢؛ ريستان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣/٥٠٢.
(٥٢) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢/٤٥٥.
(٥٣) ابن خلدون، العبر، ج٦/٢٩٣؛ عبدالوهاب، تاريخ تونس، ص١٣٠و١٣١؛ حقي، تونس عربية، ص٧٧؛ وفي هذه الواقعة شاعت قصيدة ابن مطروح واخذ المجاهدون ينشدونها مع بيتين للشاعر التونسي احمد بن اسماعيل الزيات علق عليها:

يافرنسيس هذه اخت مصر — فتأهب لما إليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر — وطواشيك منكر ونكير

ينظر المقريزي المواعظ والاعتبار، ج٢/٢٢٣؛ هارولد، شعلة الاسلام، ص٥٩١.
(٥٤) الكتاني، حملة لويس التاسع الصليبية، ص٢١٩ و ٢٢٤.
(٥٥) العبر، ج٦/٢٩٣.
(٥٦) العبر، ج٦/٢٩٣؛ ابن ابي الدينار، المؤنس، ص١٣٩.
(٥٧) الوفيات، ج١/١٥٦؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج٢/١٢٣٨ – ١٢٣٩.